

مرجعيات المنهج الأسلوبي في الخطاب النقدي المعاصر في العراق

الاستاذ الدكتور

حافظ كوزي المنصوري

الكلية الإسلامية الجامعة- النجف الأشرف

المدرس المساعد

ميثم حياوي عبد نور الحاجي

جامعة المثنى

ملخص البحث

تهتم هذه الدراسة في البحث عن مرجعيات المنهج الأسلوبي في الخطاب النقدي المعاصر في العراق أن البحث في مرجعية مناهج الخطاب مهمة جداً "تكشف لنا مهارة الناقد في قدرته على البحث في العلاقة بين الرؤية النقدية، ومرجع آلياتها، ولاسيما أن الخطابات النقدية الإبداعية تنطوي دائماً و أبداً على عدة عصور، ولا بد أن تستوعب أي قراءة لها هذه الحقيقة ، وتنطلق منها في تحولات مجاله الثقافي العام إلى مجاله الخطابي الخاص يساعد في فهم أطوار تطوره والوعي بارتحلاته و تبدلاته من ناقد إلى آخر. وهذا يعني أن الحدث الثقافي المؤسس يعاد تناوله وإحياءه دوماً داخل الخطابات عبر صيغ وصور جديدة ، تدخل عليه بعض التعديلات من خلال السياق النقدي الجديد المتأثر بالمرجعيات التراثية والمعاصرة للناقد التي يحولها إلى منظومات نصية متداخلة مع نصوص أخرى لتقوم بعملية الكشف والفحص والدرس والتحليل والبرهنة ، للإثبات أو النفي أو العرض.

المقدمة

يعد المنهج الأسلوبي واحداً من المناهج النقدية النصية الحديثة الموصولة بعلم اللغة ، أو المشتقة منه التي استطاعت أن تعالج الظاهرة الأدبية ومدارستها ، وأن تلج ميدان النقد الأدبي عن طريق النقاد العرب الذين استلهموا مبادئ هذا المنهج اللساني من خلال دراسة النص الأدبي دراسة لغوية ، لتحديد أهم العناصر المكونة له وتفسير ((

الكيفية التي يتميز بها (الأدبي) ، من غير (الأدبي) ، على الرغم من اتصاله به ((١)) ، و البحث عن المميزات لتلك العناصر التي تميزها عن غيرها من أصناف الخطاب ، وهذا التمييز غالباً ما يتحقق عن طريق ((المجاوزة الفردية أو طريقة في الكتابة خاصة بمؤلف واحد)) (٢) فهي ((علم الأنزياحات اللغوية)) (٣) كما وصفها (جان كوهن) ، وتنقسم الأسلوبية على اتجاهات تبعاً لمرتكزها النقدي أهمها :

- ١_ أسلوية التعبير ويعد (شارل بالي) رائدها الأول .
- ٢_ الأسلوية الأدبية ويمثلها العالم النمساوي (لويس بيدزر) .
- ٣_ الأسلوية البنيوية يمثلها (رومان جاكسون) و (ميشال ريفارتير) .
- ٤_ الأسلوية الوظيفية ورائدها الأول (رومان جاكسون) .

كما ظهر العديد من الأسلوبيات النظرية التي اهتمت بعلم النفس ، وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم التي استمدتها الاتجاهات الأسلوبية مع الطروحات العلمية والفكرية المعاصرة (٤).

تعنى الأسلوية برصد مستويات التحليل اللغوي للعمل الأدبي ، وصولاً إلى الوظيفة التأثرية و الإبداعية والجمالية فيه ، من خلال تفصي مظاهر الاختيار التي اعتمدت في النص الأدبي ومعرفة البدائل الأخرى التي وفرتها اللغة (٥) ، وغالباً ما يتحقق هذا الاختيار عن طريق ((خرق القواعد المعروفة للنظام اللغوي العادي سواء في مستواه الصوتي أو الصرفي ، أو التركيبي ، أو الدلالي ، فشعرية الكتابة تأتي من الشيء غير المتوقع ، أو خيبة الانتظار ، فالمرسل يتجاوز دائرة الإبلاغ إلى دائرة التأثير و الانفعال ، وهذا ما يسمى في الدراسات النقدية الحديثة بالانزياح أو الانحراف الأسلوبي)) (٦) ، وتبعاً لهذا يقوم الناقد بتفكيك النص إلى أجزاء و الوقوف على البنى الأسلوية التي تنتمي إليه وتصدر عن قوانينه التي تسير نظامه الكلي ، التي يسند إليها مسؤولية الأثر الفني في النص (٧) .

و يبدو أن ثمة جامعاً مشتركاً بين الأسلوية ، و اللسانيات الحديثة منذ أن فرق (دو سوسور) في مطلع القرن العشرين بين اللغة ، و الكلام ف((الظاهرة الأدبية الإبداعية هي ظاهرة لسانية في المقام الأول تعتمد على خلخلة السائد و المؤلف من الأنظمة اللسانية)) (٨) ، وتقوم على آليات خاصة لاختيار الكلام ونظمه في جمل و تعابير غير

مألوفة تميز كل أديب عن سائر الأدباء لأنها هي المظهر الأصيل للنتاج الأدبي(٩) ، و يصبح فيه الكلام نشاط فردي لأنه خرج من صفة (المشاع) ، و (المشترك) بين المجموعات البشرية بفضل الأسلوب الذي يلغي (شفافية السمات العامة ، لكي تحل محلها الثقل و المسؤولية ، و رائحة الحلم و التهديد معاً ، فالأسلوب أذن... فردي على حين أن الكتابة جماعية)(١٠) .

و حدد محمد كريم الكوازي ثلاثة عناصر جوهرية في العمل الأدبي تقاربها الأسلوبية على النحو الآتي :

- ((أ_ العنصر اللغوي : إذ يعالج التحليل نصوصاً ، قامت اللغة بوضعها .
ب_ العنصر النفعي : الذي يؤدي إلى إدخال عناصر غي لغوية في عملية التحليل كالمؤلف ، والقارئ ، والموقف التاريخي ، وهدف النص الأدبي وغير ذلك .
ج_ العنصر الجمالي الأدبي : ويكشف عن تأثير النص في القارئ)(١١).

و قد يختلف التحليل الأسلوبي باختلاف مداخل التحليل و باختلاف النصوص فهناك المدخل البلاغي ، و المدخل الدلالي ، و المدخل البنيوي ، وغيرها . إلا أنها تعتمد جميعها على الظواهر الموظفة توظيفاً جديداً لا على الظواهر المستعملة استعمالاً عادياً ، طبق أوضاع و تقاليد الكتابة المألوفة من قواعد التواصل(١٢) .

وفي الوطن العربي نالت الأسلوبية رواجاً عند روادها ، إذ عنوا بها تنظيراً ، و تطبيقاً ، و مقارنة ، و يعد عبد السلام المسدي من النقاد الذين كرس ((جملة من دراساته لبيان مقومات التفكير الأسلوبي الحديث و مشكلاته ، و لتجريب الإجراء الأسلوبي في مقارنة نصوص عربية قديمة و حديثة ، و تمثل تجربته هذه ... محاولة خصية لتجسير الصلات بين القديم و الحديث ، و تطعيم نقودنا بالآليات الإجرائية الحديثة)(١٣) في كتابيه (الأسلوبية و الأسلوب) عام ١٩٧٧م ، و (النقد و الحداثة) عام ١٩٨٣م ، إلى جانب المسدي نجد الناقد عبد الهادي طرابلسي في كتابه (خصائص الأسلوب في الشوقيات) عام ١٩٨١م ، و (تحاليل أسلوبية) عام ١٩٩٤م ، و الناقد عدنان بن ذريل في كتابه (اللغة و الأسلوب) عام ١٩٨٠م ، و الناقد صلاح فضل في كتابه (علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته) عام ١٩٨٢م ، و (أساليب الشعرية المعاصرة) عام ١٩٩٤م ، و محمد شكري عياد في كتابه (اللغة و الإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي)

عام ١٩٨٨م ، وغيرها من الدراسات ، و البحوث التي اتخذت من الأسلوبية منهجاً فسيحاً لدراساتها ، و إن تفاوتت قيمة هذه الدراسات في مدى تحكمها في تطبيق آليات المناهج النقدية التي اهتمت بالدراسات اللغوية ، و البلاغية ، و الأسلوبية ، إذ جميع هذه الدراسات والمناهج التي ثبتها تعنى بالمضمون ، و أن كانت تتوصل إليه بطرق و آليات مختلفة ، ((وصار الربط بين مستويات اللغة المختلفة من صوتية وصرفية ونحوية و دلالية سمة مشتركة)) (١٤) .

فضلاً عن ذلك يتميز أصحاب هذه الدراسات بمعرفة دقيقة بالتراث العربي ، تسندها معرفة ذات شأن بالمنهج الأسلوبي والمناهج الحديثة الأخرى وما يضطرب فيها من قضايا وإشكالات ، فالأسلوبية ((مائلة في الكتابات النقدية والبلاغية العربية القديمة و أن تتوفر على هذا التراث واستنطاقه كفيلاً بكشف مظاهر الحداثة فيه و استبانة ما كان للعرب من قدرة فائقة على تمثيل مفاهيم ومبادئ نظرية لم يتهياً للغرب معرفتها والاهتداء إليها إلا حديثاً)) (١٥)، وخير مثال على ذلك نظرية (النظم) عن الجرجاني التي وظفت في الدراسات الأسلوبية باتجاهاتها المتعددة ، و حازم القرطاجني ، وابن خلدون في طروحاتهم الفكرية و النقدية ، و غيرهم من النقاد العرب .

أذن المنهج الأسلوبي يعتمد على مهاد خصب ، لذلك فأن معظم الدراسات التي اعتمدت على آليات المنهج الأسلوبي ((اشتغلت وفقاً لأنساق ومستويات ومحاور يستند بعضها إلى اللغة ، ويعتمد بعضها الآخر على البلاغة ، وثمة ماله صلة بمباحث النقد والأدب عامة)) (١٦) .

وفي العراق تباينت منهجية النقد في الالتزام بآليات هذا المنهج ، فهي حيناً تلتزم بآلياته وإجراءاته النقدية ، وحيناً آخر تبتعد عن معالجات المنهج الأسلوبي ، لتذهب إلى عوامل و ظروف خارج النص تتصل بالمبدع و بيئته (١٧) . و في خضم التباين القائم بين هذين الموقفين للدراسات ظهرت عدة دراسات نقدية اتبعت المنهج الأسلوبي وحاولت الإلمام بمعالها تنظيراً ، و تطبيقاً ، والبحث عن علاقة الأسلوبية بمجالات معرفية أخرى كاللسانيات ، و البلاغة ، و الوقوف على الاختلافات الجوهرية بين أعلامها على مستوى التنظير والتطبيق في النقد العربي والغربي ، و من بين هذه الدراسات (الإنسان في الرجوع البعيد - دراسة أسلوبية) (١٨) للدكتور محسن جاسم الموسوي عام ١٩٨٢م ، و

(إشكاليات الجدل المعرفية بين النقد و الأسلوبيّة) (١٩) للدكتور عمران الكيسي عام ١٩٩٣م ، و (شعرية التسمية - أسلوبيّة الشكل السيري في قصيدة العائلة) (٢٠) للدكتور محمد صابر عبيد عام ١٩٩٩م ، و (أساليب السرد والبناء في الرواية العربية الجديدة دراسة أسلوبيّة) (٢١) للدكتور شجاع مسلم العاني عام ١٩٩٩م ، و دراسة الدكتور بشرى موسى صالح الموسومة (المنهج الأسلوبي في النقد العربي الحديث) (٢٢) عام ٢٠٠١م ، وغيرها من الدراسات النقدية ، و تعد دراسة الناقد حاتم الصكر (مرايا نرسيّس الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة) إنموذجاً للممارسات النقدية الناضجة في الخطاب النقدي المعاصر في العراق التي تعاملت مع النص في ضوء آليات المنهج الأسلوبي على وفق رؤية نقدية ((تسمح باستضافة مظاهر القص المختلفة وتقنياته الأسلوبيّة ، من غير أن تخسر القصيدة هويتها الشعرية)) (٢٣) ، و يعود ذلك إلى اعتقاد الناقد بان الشاعر الحديث يقترب من الواقع في اللغة الشعرية ، والموضوعات والرؤى الأسلوبيّة ، والتحرر من المنظور التقليدي للبلاغة ، ((و الانفتاح في بنية القصيدة ، وهيئتها الخطيّة ، بدءاً من الثبات الإيقاعي التقليدي ، وبنية البيت الشعري ... وصولاً إلى تغيير زاوية الخطاب ، و انفتاح القصيدة ، بسبب ثريتها)) (٢٤) على أصوات و جهات نظر مختلفة تستوعب فضاءات النص الشعري ، من خلال توسيع آليات التناس التي حصرها الناقد في الإمكانيات الآتية :

- ١_ تناس نوعي بين الأنواع الشعرية والثرية .
- ٢_ تناس موضوعي و يقصد به تناس الموضوعات بين الشعر و موضوعاته وبين مجالات اشتغال القص وموضوعاته .
- ٣_ تناس لغوي يمزج فيها الشاعر الذوات في هيئات و كفيات مختلفة .
- ٤_ تناس فني - أسلوبي يستوعب الرمز ، و الحكاية ، و القناع ، و الأسطورة ، و السيرة ، ليقدم الشاعر لها مقابلاً شعرياً ممكناً ، والإصرار على بقاء هوية القصيدة وخصائصها الشعرية .

- ٥_ تناس جمالي يقوم على مستوى قراءة النصوص الشعرية و نقدها (٢٥) .
- وقد أعلن الناقد على منهجية دراسته في مقدمته ((إننا لن نبحت عن (قصة) شعرية ، أو مظاهر حوارية أو مسرحية ، أو عن نزوع درامي ، تتحد فيه مكونات الشعر

و النشر ، بل نبحت عن نزعة أسلوية تتحدد في البنية الفنية القصيدة ، وتكتمل بها أدواتها ، بحيث تنصهر في تقنيات القصيدة ، و لا تنعزل عن مكوناتها الأخرى ((٢٦) ، إذ يتحول النص في ضوء هذا المنهج إلى بنية قائمة بذاتها تتخللها علاقات متعددة تجمع بين عناصرها ولا يكون لأي عنصر قيمة جمالية إلا من خلال علاقته بالعناصر الأخرى في قصيدة السرد الحديثة المتأثرة بتقارب الأجناس الأدبية (٢٧).

* ملامح مرجعيات المنهج الأسلوبي (مرايا نرسييس الأنماط النوعية والتشكيلات

البنائية لقصيدة السرد الحديثة) لحاتم الصكر إنموذجا :

حاول الناقد حاتم الصكر في هذه الدراسة أن يعين متلقي النص الشعري على فهم النص ، من خلال خبرات القراءة الثرية و طرائقها ، و دراسة التشكيل السرد في الشعر العربي المتأثر بتقارب الأجناس الأدبية ، و مستفيداً من الانتقال في زاوية الخطاب الشعري من الغنائية إلى الدرامية و الموضوعية ، و عبر مظاهر من أبرزها النظم الحكائية ، و استمرار الموروث الأسطوري و الشعبي ، و الأقنعة و الرموز ، و المرايا ، و السيرة ، و قصائد الحدث و التاريخ و الحكاية ، ذلك المنهج الأسلوبي القائم على الإفادة من علم السرد و آلياته ، و تحديد مصطلح الحديث بالفنية لا الزمنية ، ويعني به الناقد الانتقال بالقصيدة إلى مواقع جديدة في الرؤية و الأسلوب معاً ، و ليس التجديد في الموضوعات أو اللغة فحسب ، و اتخذ الناقد من قصائد السياب ، و أدونيس ، و عبد العزيز المقالح ، و أمل دنقل ، و حسب الشيخ جعفر ، و محمود درويش ، إنموذجاً لدراسة الأنماط النوعية و يقصد الناقد بالأنماط ((ما يقابل المصطلح الأجنبي (Types) أي تخصصات الصيغ مثل السرد على لسان المتكلم ، أو الغائب أو المخاطب مما تحده الرؤية ، و تعطيه شكلاً حديثاً في التقنية الأسلوية)) (٢٨) .

وعلى وفق هذا التصور يصبح القصص الملحمي ، و الخرافي ، و التاريخي ، و السيري ، و الرمزي ، و المقنع أنماطاً حديثة تتنوع على الجنس الشعري نفسه ، و الذي يحدد الشعرية هنا في النص (الفجوة) أو (المسافة الجمالية) بين النمط الصياغي ، و بين الجنس الشعري كنموذج نوعي ، فالأجناس تؤسس تقاليدها ، لكن الأنماط كصيغ تحديثية مقترحة حسب نظرية (يابوس) نواصل الانزياح عنها ، لتأسيس أساليب جمالية جديدة ، بحيث تغدو الانزياحات عن النوع ، مقياس الشعرية . أما التشكلات يقصد بها

الناقد الأبنية الفنية التي تتخذها الصيغ النمطية على وفق أسلوب معين يمكن المتلقي من تحديدها .

جاءت دراسة الناقد حاتم الصكر على منهج أسلوبي منفتح اعتمدت المواشجة بين أسلوبيات عدة كالأسلوبية الأدبية المتمثلة بالعالم النمساوي (لويس بيدزر) الذي أكد على السمة الأسلوبية وحيثيات التعبير في علاقة بالأشخاص المتحدثين به ، وتحدد بواعث اللغة وأسبابها ، وأن كل سمة أسلوبية هي عبارة عن تفرغ أسلوبي فردي ، أو هي طريقة خاصة في الكلام ، تنزاح عن الكلام العادي ، وأن كل انزياح عن القاعدة اللغوية يعكس انزياحاً في بعض الميادين الأخرى (٢٩) .

و تأثر بالأسلوبية البنيوية المتمثلة بطروحات (رومان جاكسون) و (ميشال ريفارتير) ، فهذا الاتجاه يرى النص بنية متكاملة تحكم العلاقات بين عناصرها وقوانين خاصة بها ، و لا قيمة للعنصر إذا انفصل عن البنية الكلية ، وعلى هذا الأساس لا يمكن تعريف أي عنصر منفصل عن البنية إلا من خلال علاقاته التقابلية و التضادية بالعناصر الأخرى في إطار بنية الكل .

وهذا ما حمل القارئ مسؤولية كبيرة في إبراز بعض السلسلة الكلامية و أبعاده الجمالية ، و يتجلى ذلك في اهتزاز بنيات النص الأدبي التي أشار لها الناقد حاتم الصكر في دراسته ، فإذا قام الناقد أو الدارس بتحليل هذه البنى وجدها ذات دلالات خاصة ، وهي التي تسمح بتقرير أن الكلام يعبر ، و الأسلوب يبرز و يظهر (٣٠).

لقد حاول الناقد بكل ما أوتي من قدرة نقدية أن يلم بالطروحات النقدية الحديثة ، و المعاصرة في دراسته التي اعتمدت المنهج الأسلوبي لدراسة النص الأدبي ، فكان التأثير الغربي ليس على مستوى المنهج فقط بل نجد ذلك في التقنيات الأسلوبية الغربية ، والمصطلح النقدي وتخصصات الصيغ نذكر على سبيل المثال إشارة الناقد حاتم الصكر إلى الأنماط وتقسيماتها في دراسته المتأثرة بأسلوبية (رومان جاكسون) (الوظيفية) فقد صرح (جاكسون) أن بعض الثوابت التي تتحكم في هيكل البناء اللغوي ، وتكون مفتاحاً لفك شفراته المغلقة ، أطلق عليها الموصلات أو مغيرات السرعة ، واعتمد على تقسيمات للضمائر (المتكلم ، و المخاطب ، و الغائب) ، و يلتقي هذا التقسيم مع تقسيم وظائف اللغة ، يتمثل في الوظيفة التعبيرية (أنا المتكلم) ، والوظيفة التأثيرية (

أنت المخاطب) ، والوظيفة الذهنية (هو الغائب) ، كذلك يلتقي هذا التقسيم مع العمل الأدبي ، يتمثل في المؤلف (أنا) ، والقارئ (أنت) ، والشخصيات (هو) (٣١). وجميع هذه الثوابت أو الأنماط كما أطلق عليها الناقد حاتم الصكر تستعين بالمتلقي فهو المدخل الأنسب لفهم طبيعة الأسلوب فهماً اصح . فعند معالجته لقصيدة (المريا) وهو نمط شعري اتضح عند أدونيس (٣٢) ، يصرح الصكر بأهمية معرفة القارئ لأنماط القصائد الشعرية للشاعر في قوله ((يستطيع القارئ دون عسر ، أن يؤشر تلك المراحل ، متدرجة عبر إصداراته الشعرية ، وهي تدلنا على تبدلات السرد في قصائده ، لان مواقع الراوي يتغير وفقاً للأنماط المذكورة ، ويتبعه تغير التلغظات ، سواء في استخدام الضمير النحوي ، أو صلة الراوي بمرويّه ، أو في استكمال عناصر السرد الممكنة في النصوص)) (٣٣) فالقارئ هنا جزء من عملية القراءة النقدية لا يغفل عن النص وأشكاله المتعددة (الأنماط) ، وعن مرجعيات الشاعر ، وأسلوبه . ومن ملامح منهجه الأسلوبي في حديثه عن مستوى الصياغة ، و التراكيب الأسلوبية لقصيدة المريا يقول ((فقد وجدنا قصائد المريا تتبنى بأساليب أو تراكيب صياغية متباينة ، حيث يقف الشاعر في بعضها بعيداً ، ويرسم صورة مرآتية محايدة ويقف في بعضها بعيداً مخاطباً الشخصية المتمرئة ، وفي نوع ثالث يدع الشخصية تحكي صورتها بنفسها ، يعتمد الحوارية الخالصة في نوع رابع ، ويخلط ضمائر التلغظ في نوع خامس ، لإنجاز موقع مختلط للراوي)) (٣٤) .

إنّ بتتبنا مرجعيات الدراسة وآلية معالجة القضايا وطبيعتها ، نكتشف اتكاء المنهج على المرجعيات اللسانية الغربية ، والمرجعيات العربية الحديثة ، فضلاً عن بعض المرجعيات القديمة . أنّ المنهج الأسلوبي يحفل بتعدد المواقع ، و الحقول كالنقد الأدبي ، و علم البلاغة ، و اللسانيات ، وفلسفة النقد ، وهذه الأرضية المنهجية لا تختلف عن أرضية النقاد العرب الذين أشاروا إلى علاقة الأسلوبية بالألسنية ، فعبد السلام المسدي يرى الأسلوبية ((تتحدد بكونها البعد اللساني لظاهرة الأسلوب طالما أنّ جوهر الأثر الأدبي لا يمكن النفاذ إليه ، إلا عبر صياغاته الإبداعية ، و يتدفق هذا التعريف ذو البعد الألسني شيئاً فشيئاً حتى يتخصص بالبحث عن نوعية العلاقة الرابطة بين حدث التعبير و مدلول محتوى صياغته ، و لا يخفي النفس البنيوي المكتنف لهذا التحديد أساساً .

لهذه الضوابط سيقصر التفكير الأسلوبي نفسه على النص في حد ذاته ، بعزل كل ما يتجاوزه من مقاييس تاريخية أو نفسية ((٣٥) .

فلا شك في أن ميدان الدراسة الأسلوبية هو اللغة التي تدور حولها مباحث علم اللغة وعلومها وتتخذها موضوعاً لدراساتها على اختلاف فروعها ، وهي اللغة التي تدرس ضمن مهماتها الأسلوبية التي حددها النقاد إجرائياً في الدراسات الأسلوبية على وفق معايير تطلق من الكثرة والانتقاء ، ويتم دراسة هذه المعايير عن طريق القانون الأسلوبي كما عبرت عنه الدكتورة بشرى موسى صالح هو قانون الانزياح (٣٦). الذي عده الناقد حاتم الصكر مقياس الشعرية في دراسته .

كما اعتمدت الدراسة على مرجعيات المناهج السياقية كالمنهج التاريخي ، والمنهج الاجتماعي ، والنفسي ، ويرجع السبب في ذلك لطبيعة الموضوع المدروس فالأنماط (٣٧) المدروسة فيها وشائج تاريخية ، واجتماعية ، ونفسية لا يمكن للناقد إغفالها أو تجاوزها على الرغم من انطلاق دراسته بمنهجية نصية واضحة ، ونذكر على سبيل المثال إيراد بعض المصطلحات الخاصة بالمنهج النفسي (اللاشعورية ، وإسقاطات الوعي ، والنسيان والتناسي ، وإستدعاء الذاكرة ، وغيرها(٣٨) .

واستعان الناقد بمرجعيات بعض المناهج النصية الأخرى كالمنهج السيميائي ، والمنهج التفكيكي ، وبعض النظريات في الفكر العربي والغربي كهندسة النص ، والمعنى ، و تفاعل المستويات الخطابية في النص ، وهذا لا يعني أن المرجعيات التراثية قد أختفت ، بل نجدتها حاضرة في الخطاب النقدي بصورة تلائم الخطاب النقدي المعاصر ، فهذه المرجعيات أسهمت في توسيع أفق الناقد حاتم الصكر المعرفية والنقدية مما جعل ممارسته النقدية أكثر عمقاً ووضوحاً فعلاقته بالتراث علاقة متعددة الدلالات ومتشابكة الأطراف ، وتزاوجت مع المرجعيات الحديثة بما يناسب النص المنقود ، ليخرج لنا خطابه النقدي بخبرة الماضي والتراث ، ورؤية الحاضر الثقافية والفكرية بوصفه تعبيراً عن إبداع يهم المتلقي ، ويؤثر فيه ، وتمكن الصكر من استيعاب نظريات الفلسفة الظاهرية التي نادى روادها بفهم الظاهر الخاضع للطاقة الذاتية ، والشعور الفردي الخاص الذي ينبع من الفرد المؤول ، فالعمل الأدبي حسب رأي (رومان إنجاردن) هو نتاج تفاعل بين بنية

النص وفعل الفهم ، و هو فى حاجة دائماً إلى النشاط الإنسانى الذى يعمل فىه القارئ خياله ، من أجل أن يكمل العمل و يحققه عياناً(٣٩).

كذلك استقى الناقد مرجعياته من كتبه و دراساته المنشورة فى المجلات مثل مجلة أفكار الأردنية التى أشار إليها فى هامش الدراسة ، و نجد الناقد يتعامل مع كتبه و دراساته كما يتعامل مع المصادر الأخرى التى استقى منها دراسته ، فعندما نقل عن كتابه (ما لا تؤديه الصفة) عند حديثه عن أنماط الحكاية و تشكلاتها فى التراث العربى أشار فى هامش الصفحة إلى أن هذا النص ((نقلاً عن : حاتم الصكر ، ما لا تؤديه الصفة ، ص ٧٥))(٤٠) . و قد حرص الناقد على ذكر مرجعياته فى هامش الدراسة و فى بعض المواضع يشير إلى صاحب الرأى الذى أورده فى دراسته فى متن الدراسة و هامشها على سبيل المثال نقل عن عبد الله الغذامى تحليل طبيعة الشخصيات و وجودها الحياتى و النصوصى و إفراطه فى التأويل أشار الصكر إلى ذلك فى متن و هامش الصفحة إلى الغذامى(٤١) .

و حين ينقل من مصدر معلومة نقلت من مصدر آخر يشير إلى ذلك ، على سبيل المثال نقل عن إحسان عباس فى كتابه (بدر شاكر السياب - دراسة فى حياته و شعره) قول السياب ((أحب شعري إليّ ملحمتي الشعرية : القيامة الصغرى التى بقيت مبتورة لم تتم ..))(٤٢) أشار الناقد حاتم الصكر إلى ذلك فى هامش الصفحة (١٨٠) من دراسته .

وعندما نقل من صبحى حديدي لم يشير إلى اسمه فى متن الدراسة وقال ((تنبه الدارسون))(٤٣) ، إذ لم يقل تنبه الباحث أو الدارس و أشار إلى اسمه فى هامش الصفحة . و قد يعتمد إلى المقابلات و الحوارات فى مرجعياته و أشار إلى ذلك فى هامش الدراسة ، و فى مسرد خاص يضم جميع المقابلات و الحوارات التى اعتمدها فى دراسته ضمن قائمة المصادر والمراجع ، نذكر على سبيل المثال نقله من الحوار الذى أجراه عباس بيضون مع الشاعر محمود درويش فى مجلة مشارف الفلسطينية(٤٤) ، يقول ((يدافع درويش عن الصلة بالجمهور واستجابته لقراءاته أمامه ، فى لقاء آخر معه ، و يعترف إن بينه و الجمهور ألفة و عادات و توقعات متبادلة ، يربطها بالمصداقية الوطنية و الأخلاقية و الشعرية))(٤٥).

من خلال ذلك يمكن القول بان دراسة الصكر خطوة ملموسة ومحسوبة في الخطاب النقدي المعاصر في العراق ، إذ سعى الناقد إلى التحرر المنهجي وهي مهمة صعبة في حد ذاتها لأن الناقد حاول تكييف قيم وآليات المنهج الأسلوبي لرؤيته النقدية الشاملة و أبعاد الظاهرة الأدبية المدروسة لا سبيل إلى إغفالها إذا أريد رصد حركيتها وفهم تطلعاتها فهماً نقدياً صحيحاً . وقد عد بعض الباحثين هذه الآلية سببها قصور المنهج الأسلوبي في الكشف عن النص و أسرارهِ ، و لا يمكن تخطي هذا القصور إلا من خلال الاستعانة بآليات المناهج النقدية الأخرى كالبنوية ، و السيميائية ، و نظريات التلقي التي اهتمت بالقارئ(٤٦). فمحمد عزام ينتقد إهمال عناصر التواصل (المؤلف و القارئ) في ظل خاصية الانزياح التي اتخذتها الأسلوبية دعامة أساسية لها و علامة مميزة في أساليب المبدعين وهي سبب وجود الشعرية في النص يقول ((اخطر ما يترتب على هذه النظرية في تفسير النصوص الأدبية ، هو الاعتداد بالملاحم الأسلوبية القليلة المميزة و غير المستعملة عادة ، و إهمال بقية ملاحم النص وبنيتها الأساسية))(٤٧) .

إن هذه الإشكالية أصبحت من سمات الخطاب النقدي المعاصر في العراق والوطن العربي ، إذ لا يوجد منهج نقدي يستوعب زوايا النص و يستقرأ أبعاده الإبداعية و لا سيما أن المناهج النقدية الحديثة تتكئ على فلسفات و نظريات تؤمن بأشياء محدودة ليست ذات طابع شمولي .

*** موجّهات المرجعية النقدية للناقد حاتم الصكر في المنهج الأسلوبي :**

قام التوجه المرجعي لدى الناقد على وضع مسرد للمصادر والمراجع الأدبية والنقدية و اللغوية ذكر في القسم الأول الكتب ، والقسم الثاني الرسائل الجامعية اعتمد في هذا القسم على رسالة ماجستير واحدة (تحليل النص الشعري الحديث في النقد العربي المعاصر) قدمها الناقد إلى كلية الآداب جامعة بغداد عام ١٩٩٥م ، أما القسم الثالث للمقالات والدراسات في الدوريات العربية و المحلية كمجلة فصول ، وعلامات ، وآفاق عربية ، و الأقلام ، وغيرها ، وسرد في القسم الرابع و الأخير من القائمة المقابلات و الحوارات ضمت حوارات و مقابلات مع الشعراء مثل أدونيس ، و أمل دنقل ، و حسب الشيخ جعفر ، و محمود درويش ، وغيرهم من الشعراء ، وهذا عرض مفصل لأهم المرجعيات التي استند إليها الناقد حاتم الصكر في دراسته(٤٨).

الخاتمة

لعل أهم ما نلمسه من موجّهات المرجعية النقدية و الفكرية لدى الناقد حاتم الصكر هو سعة المرجعيات وتنوع أصولها فهي مرجعية عربية ، و غربية تتبنى التراث و الآخر خطاباً و تنظيراً و أجراً ، فضلاً عن ذلك أنها مرجعية حديثة تتمثل في ما يتعلق مع الموضوع المدروس من شعر و سرود و الاعتماد على المراجع التي ناقشت قضايا نقدية تخص قصيدة السرد الحديثة و أنماطها النوعية ، و لاسيما ما كتب عن الشعراء المدروسين في دراسته و كشفت الدراسة أن الحدث الثقافي المؤسس يعاد تناوله و إحيائه دوماً داخل الخطابات عبر صيغ و صور جديدة ، تدخل عليه بعض التعديلات من خلال السياق النقدي الجديد المتأثر بالمرجعيات التراثية ، والمعاصرة للناقد التي يحولها إلى منظومات نصية متداخلة مع نصوص أخرى لتقوم بعملية الكشف و الفحص ، و الدرس ، والتحليل والبرهنة ، للإثبات ، أو النفي ، أو العرض. و كشفت الدراسة أن المرجعيات تستند على عناصر عززت الالتحام الحاصل بين العنوان ، و المتن و انعكاس كل منهما على الآخر ، استجابة لضرورات المناهج النقدية التي اتبعتها ، وهذا نوع من المواءمة بين المرجعيات و بين الدراسة النقدية التي لم تخرج عن النسيج النصي الداعم لنسقية العنوان مع المتن . أن مرجعيات المنهج الأسلوبي لم تنطلق من استراتيجيات ، و غايات ، وآليات متماثلة ، بل نجد أن هذه الجهود النقدية تختلف مرجعياتها ، و أساليبها في الممارسة النقدية ، لذلك لم يكن الخطاب النقدي العراقي حبيس الأحادية ، بل هو نقد يمتلك التنوع ، و التعددية في أساليب القراءة التي اتخذت من النص أساساً لاستبطان المعنى ، وكانت أغلب الدراسات توائم و تفاعل بين أكثر من خيار منهجي على وفق اقتضاءات النص التي تستدعي أدوات و وسائل مختلفة المشارب غايتها رصد مواطن الإبداع و فهمها من عدة زوايا .

Abstract

This study deals with the search for the references of the stylistic method in the contemporary critical speech in Iraq . The research in the speech methods' references reveal the critic's skills in dealing with the relation between the critical vision and its methods especially that the creative critical speeches always deal with different eras, so any reading must understand this truth to go from the general educational field to the

private speech field in a way that help in understanding its development's phases.

This means that the fundamental educational or cultural event is re-dealt with and revived within the speeches in different and new forms and images with some modification throughout the new critical system that affected by the contemporary and heritage references of the critics who changes it into textual systems that interacted with other texts to reveal, examine, analyze, prove, disprove or exhibit.

هوامش البحث

- (١) مبادئ النقد ونظرية الأدب ، ص ١٠٠ .
- (٢) النظرية الشعرية (بنية اللغة الشعرية واللغة العليا) ، ص ٣٦ .
- (٣) بنية اللغة الشعرية ، ص ١٦ .
- (٤) ينظر : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، ص ١٣٤ ، و الأسلوبية منهجاً نقدياً ، ص ٧٨ - ٧٩ ، والأسلوبية منهجاً نقدياً ، ص ٧٨ - ٧٩ ، و الأسلوبية الحديثة محاولة تعريف : د. شكري عياد ، مجلة فصول ، م / ١ ، ع / ٢ ، ١٩٨١م ، ص ١٢٤ .
- (٥) ينظر : النقد الأدبي المعاصر (مناهج ، اتجاهات ، قضايا) ، ٨١ ، ومناهج النقد الأدبي الحديث ، ١٠ .
- (٦) الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة و النظريات الشعرية دراسة في الأصول والمفاهيم ، ص ١٤٦ .
- (٧) ينظر : علم الأسلوب والنقد الأدبي : سالم عايد الدهام ، مجلة الأفكار ، ع / ١٤٦ ، عام ٢٠٠٠م ، ص ١٤٤ .
- (٨) المفكرة النقدية ، ص ٣٣ .
- (٩) ينظر : الأسلوبية منهجاً نقدياً ، ص ٥٧ .
- (١٠) الأسلوب والأسلوبية : أحمد درويش ، مجلة فصول ، مج / ٥ ، ع / ١ ، عام ١٩٨٤م ، ص ٦٢ .
- (١١) علم الأسلوب (مفاهيم وتطبيقات) ، ص ١١٥ .
- (١٢) ينظر : م . ن ، ص ١٢٠ - ١٢١ .
- (١٣) حدود الفاعلية الأسلوبية في الخطاب النقدي المغربي المعاصر : فريد أمعشوشو ، شبكة الاتصالات الدولية .

- (١٤) علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات) ، ص ٢٧ .
- (١٥) النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية ، ص ٤١٤ .
- (١٦) هل الأسلوبية مدرسة أم منهج نقدي : د. صبري مسلم ، شبكة الاتصالات الدولية .
- (١٧) على سبيل المثال لا الحصر : دراسة الدكتور حسن ناظم (البنى الأسلوبية دراسة في أنشودة المطر) .
- (١٨) نشرت في مجلة الفكر العربي المعاصر ، ع / ١٧ - ١٨ .
- (١٩) نشرت في مجلة الأقلام ، ع / ١١ - ١٢ .
- (٢٠) نشرت في مجلة الأقلام ، ع / ٦ .
- (٢١) دراسة منشورة ضمن كتابه الموسوم (قراءات في الأدب والنقد) .
- (٢٢) نشرت في مجلة علامات ، جدة ، مج / ١٠ ، ع / ٤٠ .
- (٢٣) مرايا نرسييس الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة ، ص ٦ .
- (٢٤) م . ن . ، ص ٦ .
- (٢٥) م . ن . ، ص ٦ - ٧ .
- (٢٦) م . ن . ، ص ٧ .
- (٢٧) ينظر : م . ن . ، ص ٨ .
- (٢٨) م . ن . ، ص ٩ .
- (٢٩) الأسلوب والأسلوبية ، ص ٤٨ .
- (٣٠) ينظر : الأسلوبية منهجاً نقدياً ، ص ٧٨ - ٨٠ ، والأسلوب والأسلوبية ، ص ٣٢ .
- (٣١) ينظر : علم الأسلوبية مفاهيم وتطبيقات ، ص ١٠٠ - ١٠٢ .
- (٣٢) يقول الناقد حاتم الصكر عن قصيدة المرايا ((أشد واقعية من القناع ، و أشد حيادية - و أن أشار إلى أنها بعيدة عن الموضوعية - و أنها أوسع مجالاً من حيث الزمن ، حيث لا تقتصر - كالأقنعة - على الزمن الماضي ، وأنها تعكس الأشياء مثلما تعكس الشخصيات)) ، ص ٩٢ .
- (٣٣) مرايا نرسييس الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة ، ص ٧٨ .
- (٣٤) م . ن . ، ص ١٠١ .
- (٣٥) الأسلوب والأسلوبية ، ص ٣٥ .
- (٣٦) ينظر : المفكرة النقدية ، ص ٢٠٠ .
- (٣٧) على سبيل المثال غط السرد الذاتي ، والواقعية التاريخية ، و قصيدة السيرة ، وغيرها

مرجعيات المنهج الأسلوبي في الخطاب النقدي المعاصر في العراق..... (٦١٣)

(٣٨) ينظر : مرايا نرسييس الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة ، ص ١٤٠ - ١٤٩ .

(٣٩) ينظر : نظرية التلقي ، ص ١٣ .

(٤٠) مرايا نرسييس الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة ، ص ٢٥٥ .

(٤١) ينظر : م . ن ، ص ٥٢ .

(٤٢) م . ن ، ص ١٨٠ .

(٤٣) م . ن ، ص ١٦٦ .

(٤٤) م . ن ، ص ١٥٢ ، و (التراجيديا الفلسطينية ستجد تعبيرها الأرقى) : محمود درويش ،

حوار آجراه عباس بيضون ، مجلة مشارف ، القدس ، ع / ٣ ، ص ١٩٩٥ ، ص ١١٠

(٤٥) مرايا نرسييس الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة ، ص ١٥٢ .

(٤٦) ينظر : الأسلوبية منهجاً نقدياً ، ص ٥٦ ، وإشكالات المنهج والمصطلح في تجربة عبد الملك

مرتاض النقدية : يوسف وغليسي ، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد اللغة والأدب

العربي ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، ١٩٩٦م ، ص ١٣٩ .

(٤٧) الأسلوبية منهجاً نقدياً ، ص ٥٦ .

(٤٨) ينظر: مسرد المصادر والمراجع في كتاب مرايا نرسييس لحاتم الصكر.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : الكتب :

* الأسلوبية منهجاً نقدياً : محمد عزام ، دار الآفاق - بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٩م .

❖ بنية اللغة الشعرية : جان كوهن ، ترجمة : محمد الولي ، و محمد العمري ، دار التوقال للنشر - الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٨٦م .

❖ الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية دراسة في الأصول و المفاهيم : د. بشير تاويرت ، عالم كتب الحديث - الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٠م .

❖ علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته : د. صلاح فضل ، مؤسسة مختار لنشر وتوزيع الكتاب - القاهرة ، ١٩٩٢م .

❖ علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات : محمد كريم الكواز ، دار المنشورات ، جامعة السابع من أبريل - ليبيا ، ط ١ ، ١٩٩١م .

❖ علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : د. سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع - القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠١٠م .

- ❖ مبادئ النقد ونظرية الأدب : د. رضوان القضماني ، و جودت إبراهيم ، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية - دمشق ، ١٩٩٩ م .
- ❖ مرايا نرسياس الأنماط النوعية والتشكلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة : د. حاتم الصكر ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩ م .
- ❖ المفكرة النقدية : د. بشرى موسى صالح ، دار الشؤون الثقافية - بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٨ م .
- ❖ مناهج النقد الأدبي الحديث : د. إبراهيم السعافين ، و د. خليل الشيخ ، الشركة العربية المتحدة للنشر والتسويق - القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٠ م .
- ❖ نظرية التلقي (مقدمة نقدية) : روبرت هولب ، ترجمة : عز الدين إسماعيل ، النادي الأدبي الثقافي - جدة ، ط١ ، ١٩٩٤ م .
- ❖ النظرية الشعرية (بنية اللغة الشعرية و اللغة العليا) : جان كوهن ، ترجمة و تقديم و تعليق : أحمد درويش ، دار غريب للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٠ م .
- ❖ النقد الأدبي المعاصر (مناهج ، اتجاهات ، قضايا) : آن موريل ، ترجمة : إبراهيم أولحيان ، و محمد الزكراوي ، المركز القومي للترجمة - القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٨ م .
- ❖ النقد العربي الحديث و مدارس النقد الغربية : د. محمد الناصر العجيمي ، دار محمد علي حامي للنشر و التوزيع - تونس ، ط١ ، ١٩٩٨ م .

ثانياً : الرسائل الجامعية :

- * إشكالات المنهج و المصطلح في تجربة عبد الملك مرتاض النقدية : يوسف و غليسي ، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد اللغة و الأدب العربي ، جامعة متنوري ، قسطنطينة ، ١٩٩٦ م .

ثالثاً : البحوث المنشورة في المجلات :

- * الأسلوب و الأسلوبية : أحمد درويش ، مجلة فصول ، مج ٥ / ع ١ ، عام ١٩٨٤ م .
- ❖ الأسلوبية الحديثة محاولة تعريف : د. شكري عياد ، مجلة فصول ، م ١ / ع ٢ ، ١٩٨١ م .
- ❖ التراجيديا الفلسطينية ستجد تعبيرها الأرقى (: محمود درويش ، حوار أجراه عباس بيضون ، مجلة مشارف ، القدس ، ع ٣ / ص ١٩٩٥ .
- ❖ علم الأسلوب و النقد الأدبي : سالم عايد الدهام ، مجلة الأفكار ، ع ١٤٦ ، عام ٢٠٠٠ م .

رابعاً : شبكة الاتصالات الدولية (الانترنت) :

- ❖ حدود الفاعلية الأسلوبية في الخطاب النقدي المغاربي المعاصر : د. فريد أمعشوشو :

www.groups.google.com/forum/m

❖ هل الأسلوبية مدرسة أم منهج نقدي : د. صبري مسلم

www.iraqna.org/fp/journal12/test44.htm